الأهرام

المصدر: الشرق الأوسط

التاريخ: ١٦ فبراير ٢٠٠٥

اغتيال الحريري.. بين «اللبننة» و«العرقنة»

الاغتيال محاولة لنسف اتفاق الطائف بما يتضمنه من سلم أهلي ودعم للمقاومة ولصالح القرار الدولي 1559

سواء أظهرت التحقيقات صحة ادعاءات «جماعة النصرة والجهاد في بلاد الشام»، بأنها هي وراء اغتيال رفيق الحريري، أو أظهرت عدم صحتها، وسواء توصلت التحقيقات إلى الكشف عن هوية الفاعلين، وهذا ما نطالب به، أو لم تكشف، فإن غياب رفيق الحريري يترك فراغاً يؤرخ لمرحلة جديدة من تاريخ لبنان، تتطلب من اللبنانيين أول ما تتطلب، الحفاظ على وحدتهم الوطنية، وهذا ما ننادي به. فكما شكل دخول رفيق الحريري السياسة مرحلة جديدة من الحكم في لبنان، فإن رحيله يشكل انتهاء مرحلة وبداية مرحلة أخرى.

بدأت مسيرة رفيق الحريري في لبنان، مع قيامه بدعم سعودي مباشر للتوسط بين اللبنانيين فيما بينهم، وبين اللبنانيين ودمشق، لوقف الحرب في لبنان عبر تنظيم وثيقة الوفاق الوطني، التي أقرها النواب اللبنانيون المجتمعون في مدينة الطائف في تشرين الاول 1989، والتي باتت معروفة «باتفاق الطائف». وأذكر أني التقيت رفيق الحريري في باريس قبل فترة من انعقاد مؤتمر الطائف، واطلعني على هذه الوثيقة بصورة سرية جداً في محاولة منه لمعرفة ما هي ملاحظاتي عليها.

وأثر تثبيت الأمن في لبنان، احتل رفيق الحريري في تشرين الثاني من العام 1992 موقع رئاسة الحكومة طوال فترة 12 سنة، لتثبيت الاقتصاد في موازاة الأمن المستقر. وبرز رفيق الحريري في بداية ادارته لشؤون لبنان بصورة رجل الوفاق الوطني، ورجل النهوض الاقتصادي بامتياز. وتجدر الاشارة الى ان لبنان عرف قامات سياسية كبيرة توازي، لا بل تتخطى قامة رفيق الحريري، وعرف قامات اقتصادية لم يبلغ أي واحد منها ما بلغه رفيق الحريري، غير أن لبنان لم يعرف قبل الحريري قط، رجل دولة ذات قامة اقتصادية كبيرة الى جانب قامته السياسية. ومنذ العام 1992 دخل لبنان ما يمكن ان نسميه «زمن الحريري»، وباغتياله انتهى هذا الزمن ليبدأ زمن آخر مختلف.

ان وراء اغتيال رفيق الحريري محاولة لاغتيال اتفاق الطائف بما يتضمنه من سلم أهلي، ودعم للمقاومة، وعلاقات مميزة مع سوريا، لصالح القرار الدولي 1559، الذي يطالب بانسحاب الجيش السوري من لبنان وتجريد «حزب الله» والمخيمات الفلسطينية من السلاح. اتفاق الطائف يؤكد صراحة تلازم المسارين اللبناني والسوري وما يستتبعه من استقرار، والقرار 1559 يذهب ضمناً مذهب الفصل بين المسارين وما قد يستتبعه من فلتان وفوضى.

مع دخول الجيش الأميركي الى العراق، تخوفنا من سيناريو «لبننة العراق»، وتنفيذ المخطط الإسرائيلي القديم الذي يرمي إلى إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، عن طريق التقسيم والفتنة الطائفية بهدف اقامة دويلات طائفية متقاتلة، مقابل دولة اسرائيل الدينية العظمى. وقد جرى تجربة هذا المخطط أيام وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر، الذي سعى بمختلف الوسائل الى حل أزمة الشرق الأوسط على حساب لبنان، عن طريق افتعال فتنة طائفية تقسم لبنان وتمتد الى سوريا فالعراق. غير أن وعي اللبنانيين ودعم دمشق لهم حالا دون نجاح عملية التقسيم، فانتقل المخطط الى العراق، عساه ينجح فيه حيث فشل في لبنان.

«لبننة العراق» هو الخطر الذي يهدد العراق.

ولكن مع اغتيال رفيق الحريري، بتنا نتخوف من أن يداهمنا خطر موازٍ يتمثل «بعرقنة لبنان». وذكرني مشهد اغتيال رفيق الحريري بالمشهد الذي نراه يومياً في العراق، ورحت أتساءل: هل الفتنة الطائفية التي غرزت أظافرها في العراق، ممكن أن تنتقل مع اغتيال رفيق والحريري الى لبنان «لعرقنته»؟

في تصوري ان الفراغ الذي تركه رفيق الحريري لن يملأه زعيم آخر في المستقبل المنظور على الاقل. وما نجح اللبنانيون والسوريون في تفاديه عبر اتفاق الطائف، من تقسيم لبنان منعاً لتقسيم سوريا والشرق الاوسط، جاء اغتيال رفيق الحريري ليشكل محاولة «لعرقنة لبنان»، غير ان وحدة اللبنانيين ووجود جيش وطني والتفاهم مع سوريا، كلها عوامل تحول دون مشروع بلقنة الشرق الأوسط واقامة سايكس بيكو جديدة.

صحيح أن أصحاب مشاريع التقسيم والبلقنة نجحوا في اغتيال رفيق الحريري، بقصد اشعال فتنة مذهبية تحقق اهدافهم، لكن الصحيح ايضاً انه بمقدور اللبنانيين ان يفشلوا كل هذه المشاريع عن طريق وحدتهم الوطنية.

الوحدة الوطنية مقابل الفتنة المذهبية، هذا هو التحدي الذي يواجهه لبنان واللبنانيون، في اثر اغتيال رفيق الحريري.

كريم بقرادوني

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية